مصطلحات مهمة

الطب النفسي Psychiatry

الطب النفسي هو ذلك الفرع من الطب الذي يهتم بدراسة الاضطرابات التي تشكل فيها الظواهر النفسية والمعرفية (كالتفكير، والإدراك، والسلوك) جانبًا أساسيًّا، سواءً في سبب المرض أو صورته الإكلينيكية، وكذلك كل الجوانب النفسية للمرضى في تخصصات الطب المختلفة، ولا بد لمن يتخصص في هذا الفرع من الطب أن يدرس الكثير من علم النفس العام ومدارسه المختلفة وعلم النفس السريري، وكذلك علم الكيمياء وعلم الأدوية والعلوم العصبية، وأن يكون ملمًّا بكثير من أعراض الطب الباطني وأمراضه؛ نظرًا لكثرة ظهور المرض العضوي بأعراض نفسية، وكثرة ظهور المرض النفسي بأعراضٍ عضوية، فلا بد أن تكون لديه القدْرَةُ على التمييز بين الحالتين، وأيضًا لأن وجود المرضين النفسي والعضوي في مريضٍ واحد أكثرُ من أن يُغْفَل.

الطبيب النفسي Psychiatrist

هو ذلك الشخص الذي تخرج في الثانوية العامة -القسم العلمي- ثم التحق بكلية الطب، ودرس فيها تقريبًا مدة سبع سنوات جميع التخصصات الطبية دون تركيز على تخصص محدد، مثله في ذلك مثل أي طالب في كلية الطب، ثم حين يتخرج يعمل في جميع التخصصات الطبية الرئيسة مدة عام واحد (يُسمَّى خلالَهُ طبيبَ امتياز)، مثله في ذلك مثل أي طبيب آخر، يحصل بعدها على بكالوريوس الطب والجراحة، ما يؤهله للعمل في أي تخصص طبي شاء. وكما يختار زميله الذي تخرج معه في قسم الجراحة أو الباطنية مثلًا، فإن من يرغب في أنْ يكون طبيبًا نفسيًّا، فإنه يتجه للعمل في قسم الطب النفسي، ويمكنه بعد ذلك مواصلة دراساته العليا في الطب النفسي، التي يتدرج خلالها من رتبة طبيب مقيم إلى طبيب اختصاصي (إخصائي) بعد حصوله على درجة الماجستير في العلوم العصبية والطب النفسي، ثم إلى رتبة طبيب استشاري إذا حصل على درجة الدكتوراه.

ويتمثل دور الطبيب النفسي في تشخيص الحالة المرضية والبحث في أسبابها النفسية وكذلك العضوية؛ لأنه في الأصل طبيب -كما أسلفنا- ثم يسعى في اختيار العلاج المناسب لها، وقد تحتاج بعض الحالات المرضية إلى بحث اجتماعي، فيستعين بالاختصاصي الاجتماعي، أو عمل بعض المقاييس النفسية مثلًا، فيستعين بالاختصاصي النفسي، ويُعدّ الطبيب النفسي في الأقسام النفسية العمود الفقري للفريق المعالج الذي يتكون عادة من: الطبيب النفسي، والاختصاصي النفسي، والاختصاصي الاجتماعي، وفريق التمريض. وإن الطبيب النفسي هو الوحيد الذي يحق له صرف الأدوية من بين أفراد الفريق المعالج؛ لما عنده من خلفية طبية، ويقوم الطبيب النفسي

أيضًا بعلاج ما يعترض مرضاه من أمراض أخرى، إن لم يقتضِ الحال تحويلها إلى طبيبٍ مختص.

ما علم النفس Psychology؟

هو العلم الذي يختص بدراسة السلوك الإنساني وعلاقته بالبيئة المحيطة من خلال الطريقة العلمية في البحث، فمثلًا كيف يتعلم الإنسان، وكيف يفكر، أو كيف يدركُ بيئتَهُ، وما التغيراتُ التي تطرأ على الإنسان عندما يفكر بذكاء أو يبدع أو عندما يقعُ فريسةً لمرضٍ عقلي أو نفسي أو عضوي، وما التغيراتُ التي تطرأ عليه عندما يتحمس أو ينشط أو ينفعل أو يندفع، وما الذي يطرأ عليه عندما يتفاعلُ مع جماعة من الناس، أو عندما يعمل بمفرده، أو ماذا يطرأ على سلوكِهِ من تغييرٍ وهو تحت تأثيرِ عقَّارٍ ما، إلى آخر هذه المباحث الإنسانية؛ وتتفرع عن علم النفس العام فروع كثيرة تزيد يومًا بعد يوم، كعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الحربي والصناعي والإداري وغيرها، لكنها في مجموعها تدرس في كليات ككلية التربية وكلية الآداب، وأما ما يدرس في كلية الطب فهو مقدمة علم النفس العام وعلم النفس الطبي أو السريري (الإكلينيكي) ودارسو علم النفس العام هم الاختصاصيون النفسيون والمحللون النفسيون وغيرهم.

طبيب الأمراض العصبية Neurologist

أو طبيب المخ والأعصاب (باطنية) كما يحبون تسمية أنفسهم؛ هربًا من وصمة الطب النفسي، هو مثل الطبيب النفسي تخرج في كلية الطب، ولكنه اختار بعد قضاء سنة الامتياز العمل في قسم الأمراض العصبية، وهو

أحد تخصصات الأمراض الباطنية كطبيب مقيم مدة ثلاث سنوات على الأقل إلى أن يحصل على درجة الماجستير نفسها التي يحصل عليها الطبيب النفسي، وهي ماجستير العلوم العصبية والطب النفسي؛ ثم إن شاء بعد ذلك مواصلة الدراسة يحصل على درجة الدكتوراه في العلوم العصبية ليصبح مستشارًا للعلوم العصبية، وهذا التخصص جديد إلى حد ما وغير ممثل في معظم وزارات الصحة العربية؛ نظرًا لأنَّ معظم هذه الوزارات تكتفي بأقسام الطب النفسي فيها، حيث كان المسمَّى (الأمراض النفسية والعصبية).

ولما تعدَّدَت كليات الطب في الجامعات العربية أنشِئت أقسام مستقلة للأمراض العصبية فيها، وكان مرضى هذا التخصص قبل ذلك مقسمين ما بين أطباء الباطنية العامة وأطباء الأمراض النفسية؛ أما نوعية الأمراض التي استقلَّ بها هذا التخصُّص فقد كانت في البداية كلَّ ما يعرفُ له سبب باثولوجي في الجهاز العصبي، وغالبًا ما كانت أعراضه تندرج تحت أعراض خلل الجهاز الحركي مثل بعض حالات الشلل والخزل paresis وحالات الصرع وأمراض الحثل العضلي Muscular Dystrophy والتهاب الأعصاب الطرفية وما إلى ذلك.

وربما كان التفريقُ بين هذا التخصص وبين الطبِّ النفسي سهلًا في الماضي عندما لم تكن لدينا غير معلومات ضئيلة عن أسباب الأمراض النفسية، ولكن الآن أصبح التفريق معتمدًا، لا على السبب بل على نوعية الخلل الذي يعانيه المريض، فإذا جاء الخلل في ميدان الحركة والإحساس الجسدي اعتبر ضمن مجال الأمراض العصبية، وإذا جاء الخلل في ميدان

المشاعر أو الأفكار أو السلوك أو العمليات المعرفية اعتبر ضمن مجال الطبِّ النفسي، ولكنَّ الذي لا بدَّ من قوله هنا: إن كلا هذين التخصصين إنما هما وجهان لعملة واحدةٍ وفصلهما عن بعضهما ربما أضر أكثر مما نفع، وإن كان التوجه العلميُّ الحديث نحو التخصص هو السبب في الفصل، ولكن الخط الفاصل لا يزال بعيدًا عن الوضوح!

جراح المخ والأعصاب Neurosurgeon

وهذا تخصص آخر من التخصصات الطبية، ولكنه يتبع الجراحة لا الباطنية، فجراح المخ والأعصاب يتخرج في كلية الطب، ولكنه بعد سنة الامتياز يتخصص في جراحة المخ والأعصاب، ويعمل طبيبًا مقيمًا مدة ثلاث سنوات جراحًا يحصل بعدها على ماجستير في الجراحة العامة أو في جراحة المخ والأعصاب بحسب مدى التطور الذي وصلت إليه جامعته، ثم إن أكمل دراسته يمكنه الحصول على درجة الدكتوراه في جراحة المخ والأعصاب، والجراحة في جوهرها تختلف عن الباطنية، فهي أسلوبٌ من أساليب العلاج، ومرحلة العلاج تلي مرحلة التشخيص في الطب، وهي وظيفة الطبيب الباطني في الأساس؛ لأن تركيز الجراحة إنما يكون في المقام الأول على كيفية إتقان العمل بالمشرط بعد الوصول إلى أقصى ما يمكن من دقةٍ في التشخيص.

وهناك بعض الحالات التي تصلح لها الجراحة مثل أورام المخ وأورام الأعصاب، وبعض جراحات العمود الفقريِّ، وكذلك حالات النزيف المخي الناتج عن إصابات الرأس في الحوادث أو بعض حالات النزيف لأسباب طبية باطنية مثل ارتفاع ضغط الدم المفاجئ؛ ونظرًا للتطور الحديث في

مجالات الجراحة الميكروسكوبية، فقد أصبح من الممكن التدخل في بعض حالات الصرع الناتجة عن إصابات الرأس بعدما كان التدخل الجراحي في الماضي يسبب من المشكلات ما لا حصر له.

الاختصاصي (الإخصائي) النفسي Psychologist

هو ذلك الذي تخرج في الثانوية العامة -القسم الأدبي عادة- ثم التحق بقسم علم النفس في إحدى الكليات النظرية (التربية أو الآداب عادة) حيث يدرس فيها، ويتلقى تدريبه مدة أربع سنوات، يحصل بعدها على بكالوريوس التربية قسم علم النفس أو على ليسانس الآداب قسم علم نفس، ثم يتجه بعد ذلك للعمل في أحد القطاعات الحكومة كالمدارس والمستشفيات العامة أو النفسية، ويتمركز عمل الاختصاصي النفسي في عمل المقاييس النفسية، واختبارات الذكاء، وكذلك عمل بعض الجلسات العلاجية كالعلاج المعرفي، والعلاج السلوكي، والعلاج المساند. ويُعدّ دور الاختصاصي النفسي رائدًا ومهمًّا في تكامل عمل الفريق الطبي، ويعاني بلدُنا مع الأسف الشديد نقصًا كبيرًا في هؤلاء الاختصاصيين النفسيين المدربين؛ نظرًا لعدَم اهتمام الدولة بهم ولا بتدريبهم ما تسبب في توجّهِ غالبية العناصر الجيدةِ والمحبَّةِ لعمَلِها منهم إلى دول البترول، ومن الاختصاصيين النفسيين الذين يودون التخصص الأدَّق من يتخصّصُ في العلاج بالتحليل النفسي، فيصيرُ مُحَلِّلًا نفسيًّا Psychoanalyst ومنهم من يتخصص في علاج عيوب النطق، فيسمَّى اختصاصي (إخصائي) التخاطب، ومنهم من يتخصص في نوع معين من العلاج كالعلاج الأسَري أو العلاجِ الجمعي أو المعرفي... إلخ.

الاختصاصي الاجتماعي Socialist

تخرج في الثانوية العامة -القسم الأدبي عادة- ثم التحق بكلية الخدمة الاجتماعية أو قسم علم الاجتماع أو ما شابه ذلك من الأقسام على اختلاف أسمائها في إحدى الكليات النظرية (الآداب عادة) حيث يدرس فيها، ويتلقى تدريبه مدة أربع سنوات، يحصل بعدها على درجة الليسانس في ذلك التخصص، ثم يتجه بعد ذلك للعمل بوظيفة اختصاصي أو مرشد اجتماعي في أحد القطاعات الحكومية كالمدارس والمستشفيات وغيرها، ويتمركز عمل الاختصاصي الاجتماعي في بحث المشكلات الاجتماعية والمساهمة في حلها وإعداد التقارير الاجتماعية للأفراد الذين يُحوَّلون إليه.

وللاختصاصي الاجتماعي الذي يعمل في المستشفيات دور بارز في تكامل الخدمة الطبية، ويمكن للاختصاصي النفسي وكذلك الاختصاصي الاجتماعي مواصلة الدراسات العليا في تخصصاتهما والحصول على شهادات الماجستير والدكتوراه، ثم العمل بعدها أستاذًا في إحدى الجامعات أو موظفًا في أحد القطاعات الحكومية الأخرى بما يتناسب مع طبيعة تخصصه ودرجته العلمية.

اختصاصي التخاطب Speech Therapist

اختصاصي نفسي يتخصص تخصصًا أدق، وهو علاج عيوب النطق واضطرابات القدرة على النطق، بحيث يدرس أجزاء من علم الصوتيات، ويدرس آلية عملية النطق وكذلك الجهاز السمعي، إضافة إلى بعض أساليب العلاج السلوكي و المعرفي؛ لأن تعليم المحادثة والنطق عبارة عن

طرق وأساليب مختلفة لكل واحد منها أهداف معينة، ويدخل فيها أنشطة مختلفة، إن الهدف هو الحصول على طريقة أو طرق لتساعد كل إنسان على التخاطب والتواصل مع الغير، ومن ثم نجد أن هذا الاختصاصي يعمل مع أطباء الأنف والأذن والحنجرة ومع الأطباء النفسيين.

اختصاصي التحليل النفسي (أو المحلل النفسي Psychoanalyst)

وهذا اختصاصي نفسي في الأساس، لكنه يحصل على درجة علمية أعلى من الليسانس أو البكالوريوس؛ أي الماجستير أو الدكتوراه في علم النفس، ويكون تخصصه هو نظرية التحليل النفسي؛ أي نظرية (سيجموند فرويد)، ويمارس العلاج النفسي عن طريق هذه النظرية، وعدد هؤلاء المحللين النفسيين في تناقص مستمر في الدول الغربية، حيث إن التوجه الآن هو اتجاه النظريات السلوكية والمعرفية؛ لأن العلاج بالتحليل النفسي باهظ التكلفة وطويل الأمد.

المنوم المغناطيسي Hypnotizer

التنويم المغناطيسي هو واحد من مباحث علم النفس، وهو حقيقة لا خيال، لكن الناس يتوهمون عنه الكثير، وتوجد معاهد خاصة لتخريج المنومين في بلاد الغرب، ولا يشترط فيهم أن يكونوا أطباء، لكن ما يعنيني هنا هو أن الناس يفهمون الأمر بشكل مختلف عن حقيقته؛ لأنهم يحسبون لدى المنوم المغناطيسي قدرات خاصة، وهذا أمر غير صحيح، فالقدرة أو الخاصية في الحقيقة تكون لدى الشخص الذي يتم تنويمه، وليس لدى المنوم سوى طريقة التنويم بعد أخذ موافقة الشخص الذي يرغب في النوم،

وهذا أيضًا مفهوم خاطئ لدى الكثيرين، فليس هناك من ينوم الناس قسْرًا ودون أن يعطوه هم الفرصة لذلك! وأما عن أهمية ذلك في العلاج النفسي فأستطيع أن أقول: لا شيء تقريبًا؛ لأن هناك أساليب أكثر مناسبة للطبيب لكي يستخدمها وأكثر أمنًا؛ لأنه يحسنها أكثر من التنويم.

مفهوم علم النفس المرضي Psychopathology

هو فرع من علم النفس الطبي يختص بطرق البحث السيكولوجي التي تستخدم الدراسة الإكلينيكية للحالة العقلية للمريض فيما يتصل -ليس فقط بمرضه نفسه- بل أيضًا بالإمكانيات التعويضية أو التحملية الكامنة في شخصيته. إذن هو العلم الذي يبحث في انحرافات السلوك والخبرات العقلية على حد سواء ومحاولة فهم معوقات النفس البشرية في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والعضوية؛ ليتمكن من وضع أسس السلوك القويم، وكذا مؤشرات السلوك المرضي. وجدير بالذكر أن تعاريف علم النفس المرضي كثيرة ومتعددة، ولا يسعنا أن نقف عند معظمها، ولكن يمكن أن نختصر جل التعاريف المعطاة له في التعريف الآتي: «علم النفس المرضي هو العلم الذي يصف الأمراض ذات الصلة بالحالة النفسية أو العقلية أو كلتيهما على السواء محددًا الأعراض وكذا النتائج».

تاريخ علم النفس المرضي

منذ بداية الإنسانية ظهرت محاولات عدة لفهم الأمراض العقلية وتفسيرها، وقد كانت مختلف التفسيرات تتناسب ومختلف أنماط السلوك

التي ظهرت، وتسلسلت عبر الزمان، وهذا التسلسل لمختلف التغيرات يسمح لنا بفهم كيفية ظهور علم النفس المرضي (هذا التسلسل نراه معًا في النظريات المفسرة للأمراض).

فيعود الفضل في ظهور اتجاه حديث للطب العقلي إلى بينال PINAL الذي حرر مرضى مستشفى بدسات من قيودهم سنة 1795م حيث اعتبر المرضى العقليين مرضى عاديين، وليسوا مجرمين أو ممثلين للحيوانية، ثم ظهر من بعد اتجاه آخر يسمى ضد العقلي Antipsychiatrique الذي ذهب إلى حد اعتبار أن من يوجد خارج أسوار المستشفيات العقلية هم المرضى، أما الأصحاء فهم من يعتبرهم المجتمع مرضى عقليين، وتلته محاولات عدة حاولت أن تنظر للعلم، وتضع له القواعد والمناهج العلمية المناسبة.

ولعل أولى خطوات هذا العلم ترجع إلى القرن العشرين بفرنسا، وقد قال الفرد بينيه عن نشأته: «إن علماء النفس الفرنسيين تركوا للألمان البحوث الفيزيقية (قياس العينات) وإلى الإنجليز دراسة علم النفس المقارن، وتخصصوا من ثم في دراسة علم النفس المرضي، حيث إن أول من أنشأ هذا المرض هو ريبو RIBOT (1859-1916) الذي عمل مدة قصيرة في الإدارة، ثم دخل للمدرسة العليا بباريس بعد أن درس الفلسفة، وشغل منصبًا مهمًّا بمخبر علم النفس التجريبي احتوت أول أعماله تقديم المدرسة الألمانية والإنجليزية، ثم ناقش دكتوراه حول (الوراثة النفسية) 1875م، ومن هنا انطلق في دراسة علم النفس المرضي، ومن أبرز أعماله في هذا الميدان أمراض الذاكرة (1881م) وأمراض التخيل الإبداعي (1900م)، ومشكلات علم النفس العواطف (1950م)».

ثم تلته أعمال شاركو CHARKO (1825 ـ 1885م) الذي احتل منصبًا مهمًّا في عيادة الأمراض العصبية ابتداءً من 1882م، وهو معروف بأعماله حول الهستيريا المتميزة بأعراض جسدية في أسباب نفسية، ومن جهته حاول بيرنهاين BERENHAIN (1840-1919م) أن يدرس التنويم المغناطيسي وميكانيزمات الإيحاء التي استعملها في العلاج، ومن بعده بيار جانيه P. JANET (1859-1974) الذي درس الطب، وانتمى إلى مدرسة شاركو، حيث نشر عام 1892م الحالة العقلية للهستيريين، والأعصبة والأفكار الثانية، والعياء النفسي، والوسواس، من القلق إلى الانشراح 1926م، ومراحل النمو النفسي، والنمو النفسي للشخصية (1929م) وتلتهم من بعد أعمال (ألفرد بينيه وسيمون) حول الذكاء وقياسه، وهي من أهم المحاولات الموضوعية لدراسة التخلف العقلي. ثم أتى (جورج ديما J.DUMAS) الذي كان أول مدير مخبر علم النفس المرضي بجامعة السوربون، ويَعدّ الظاهرةَ المرضيةَ وسيلةً لمعرفة السوي، ونشر كتبًا عدة من بينها القدرات العقلية في السوداوية، وتعبير الانفعالات، وعصاب وذهان الحرب. وقد أسهم (هينري فالون H. WALLON) الذي درس الظاهرة المرضية من خلال أطروحة (الطفل المشاغب) حيث درس أول الأمر التخلف العقلي واضطرابات النمو الحس- حركي، ثم انتقل إلى التنظير لنمو الطفل في وحدة متكاملة.

- مساهمة التحليل النفسي: من المعروف أن (فرويد) درس الظواهر اللا شعورية ودورها في ظهور الاضطرابات العقلية والنفسية وفق ثلاث وجهات نظر: الاقتصادية -البنيوية- الدينامية، وكذا العلاج عن طريق التداعي الحر والأحلام والتنويم المغناطيسي رفقة تلامذته يونغ (اللا شعور الجماعي) وأدلر (عقدة النقص) حيث

تُعدّ مساهمة مدرسة التحليل النفسي واسعة ومؤسسة لعلم النفس المرضي، حيث بات من غير المعقول التحدث عن المرض النفسي دون مرجع نفس - تحليلي.

- مساهمة البيولوجيا: منذ بداية الطب العقلي بدأ البحث عن قاعدة عضوية للاضطرابات النفسية والعقلية على حد سواء، حيث قادهم البحث للحديث عن أنماط الجسم وعلاقته بالمرض العقلي والنفسي، واشتهر في هذا الصنف من البحوث العالم فيشنر (1888-1964م) الذي بحث في العلاقات بين الخصائص النفسية والخصائص الجسمية خلال عمله طبيبًا عقليًّا، وقادته بحوثه للتوصل إلى العلاقة القائمة بين النمط النفسي والنمط الجسمي.